

اين ذهبت هذه الموارد

اشترى العرب خاصة المملكة العربية السعودية بعد ان طلبت الولايات المتحدة الامريكية منها اذونات خزائنة امريكية لا تتداول بالاسواق ومربوطة باجال لمدة 20- 25 سنة بما يزيد عن المليار دولار وذلك عام 1981 (1) . ويقدر بعض الخبراء ما كان يوفره العرب عام 1975 من عائدات النفط ب 27 مليار دولار وظف نصف المبلغ بشراء سندات في الدول الغربية (2)

وقد انفقت الدول العربية على الدفاع العربي ما بين 1980 – 1987 مبلغ وقدره 366,5 مليار دولار . مقابل 42,6 مليار انفقته اسرائيل في تلك الفترة (3)

المملكة العربية السعودية قامت بشراء اسلحة في سنتين اثنتين ما بين 1986-1988 مبلغ وقدره 60 مليار دولار (4) . وانفقت الدول العربية عام 1985 على شراء الاسلحة ما يقرب من 40 مليار دولار كان يمكن تصنيعها داخل الوطن العربي (5)

وطبقا لبيانات الكونجرس فان دول الشرق الاوسط قد استوردت في بند واحد هو " الاسلحة التقليدية " بمبلغ قيمته 200 مليار دولار وذلك من منتصف السبعينات وحتى 1991 (6)

(1) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج، مرجع سبق ذكره ، ص 94

(2) د. حسن صعب ، مرجع سبق ذكره، ص 243

(3) القدس، 1989 /1/6، ص 9

(4) التلفزيون الاردني " الاردن الاقتصادي " 1990 /8/19، الساعة 10,15

(5) الفجر، 1986 12/18، ص 3

(6) محمود مراغي، " الاستثمار العربي – محاولة الفهم " ، مجلة العربي ، العدد 397، 1991، ص 74-75

ترسانة من الاسلحة استررتها الدول العربية ونقلتها ودفعت ثمنها من دمها ومع هذا ذهب معظمها ادراج الرياح في الحروب التقليدية التي خاضتها مع اسرائيل او بفضل التقادم لنظام الاسلحة . ومع هذا لم ننتصر في حرب واحدة مع العدو الرئيس للامة العربية ولم نثبت وجودنا ولو لمرة واحدة .

وتشكل عائدات النفط 98% من ايرادات ليبيا ، 96% من ايرادات الكويت والسعودية وقطر والامارات العربية المتحدة ، 52% من ايرادات العراق (1).

وفي المجال المدني فقد عقدت الدول العربية الغنية عقودا بمبلغ 400 مليار دولار لاقامة مشاريع هندسية وتجهيزات وانشاء وتمتد هذه العقود الى فترة 4 سنوات وتتركز في التالية :-

الهيدروكربونات والبتر وكيمواويات (160 مليارا) ، والانشاءات المدنية كالطرق والموانئ والسدود والجامعات وحلبات السباق ، صوامع الحبوب وشبكات الري والطرق (100مليارا)، وشبكات النقل والمعدات والتجهيزات (80 مليارا)، والمنشآت الصناعية (40 مليارا) وشبكات المواصلات (10 مليارا) (2).

واغلب هذه المشاريع التي تمت (10- 100% منها) تضعها وتخططها وتصممها وتنشأها وتجهزها شركات اجنبية وتتم العملية باكملها مع ادنى حدود المشاركة للقوى البشرية المحلية وهو ما يطلق عليه (الانتاج الجاهز وتسليم المفاتيح).

ان قضية التجهيز وتسليم المفاتيح تمثلا مقتلا لعملية بناء الانسان العربي لنفسه وبلده . ان نسبة صغيرة من هذه المبالغ المنفقة كان بإمكانها اقامة بنية تحتية للانسان العربي في بلده معتمدا بذلك جهده وتفكيره بدل ان يظل ضائعا تائها بلا مورد وبلا عمل وبلا دخل يعمل على تحسين مستواه المعيشي.

وإذا كان باستطاعتنا استيراد قطعة السلاح أو الطائرة أو أية سلعة أخرى فإنه ليس بالامكان استيراد الخبرة والانتاج والذي لا يمكن ان يتم الا بالتدريب وتعليم الكوادر الوطنية (1)

والتكنولوجيا على درجات كما هو التعلم تماما . فان من المحال الحصول على درجات عليا دون السيطرة على الدرجات الدنيا او الوسطى . وهذه السيطرة لن تتم الا بالممارسة الذاتية التدريجية . فالانسان يحبو ثم يمشي ثم يركض وكذلك تعلم التقنية والتكنولوجيا واحسن صور التعلم هو التعلم بالفعل وليس القفز فوق الدرجات (2)

فاستيراد السعودية لاحدث المستشفيات في العالم لم يرفع المستوى المتخلف للانسان السعودي الذي يعاني من التدرن الرئوي (3) ومشكلة الثورة اعمت بصرهم وبصيرتهم فراحوا ينتجون القمح بتكلفة اعلى عشر مرات عن سعره العالمي (4) وقد ارتفعت ميزانية السعودية من 3 مليارات عام 1972 الى 74 مليارا عام 1981 (5)

ومشكلة سوق المناخ المشهورة في الكويت لعام 1982 والتي سببت خسارة تقدر ب 80 – 90مليار دولار من اجراء شراء اسهم وهمية مما جعل الحكومة الكويتية تقطع 8% من دخلها السنوي كتعويض عن الخسائر التي واجهها الناس خوفا من الفضيحة (6)

-
- (1) د. عطوف محمود ياسين ، مرجع سبق ذكره، ص 152
 - (2) د. جورج قرم ، التنمية المفقودة ، ط1 (بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر) ، 1981، ص 133
 - (3) واصف البرغوثي ، مرجع سبق ذكره ، ص 118
 - (4) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ، مرجع سبق ذكره ، ص 163
 - (5) د. جورج القرم ، مرجع سبق ذكره. ص 256
 - (6) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج، مرجع سبق ذكره ، ص 258

في مجال الامن انفقت الدول العربية فيما بين 1973-1985 ما يقارب ال 50 مليار دولار من اجل حماية نفسها ، ومع هذا لم تشتت الامن لابنائها (1)

وطبقا لدراسة نشرها الاستاذ ناداف صفران صادرة عن جامعة هارفاد تقول :

بان الميزانية السنوية للدفاع في المملكة العربية السعودية تساوي في حجمها ميزانية الدفاع في خمس دول من الشرق الاوسط مجتمعة ، وهي مصر وسوريا والاردن والعراق واسرائيل !! في حين الدول الخمس تملك بهذه الميزانيات مجتمعة 60 فرقة وعشرة الاف دبابة والـ الف طائرة حربية فان السعودية بميزانية تساوي حجم ميزانيات هذه الدول الخمس التي مر نكرها لاتملك الا خمس فرق وخمسمائة دبابة ومائتي طائرة؟؟ فاین ذهبت اموال الميزانية السعودية؟؟

والنموذج نفسه متكرر في سلطنة عمان , فالارقام تشير طبقا لتقرير نشر في لندن ان ميزانية الدفاع للسلطنة وصلت الى مليارين من الدولارات سنويا سنويا وجيشها يضم 25 الف جندي مع العلم ان جيشا كالجيس الباكستاني يضم 647 الف جندي ومع هذا فان ميزانية الدفاع فيه اقل من ميزانية السلطنة ب 200 مليون دولار (2)

وقد انفقت الدول العربية ما يزيد على 500 مليار دولار فيما بين 1973-1985 على وسائل الاعلام ، من اجل تحسين صورة الانسان العربي الا ان صورته ما زالت بانه ارهابي ، وسكير ، ومقامر (3)

(1) محمد حسنن هيكل , " دروس حطين " ، القدس ، 1987/7/3 ، ص 13
(2) محمد حسنن هيكل " صنع القرار السيلسي في مصر(2)" السعب ، 1986 /2/26 ، ص 3
(3) محمد حنين هيكل " دروس حطين " القدس 1987 /7/3 ، ص 13

وفي الليلة نفسها التي دخلت القوات العراقية بها الاراضي الكويتية ، خسر احد الشيوخ السعوديين والمقرب من الاسرة الحاكمة في ليلة واحدة 12 مليون دولار وعلى مائدة القمار ، وكانت المفارقة ان نشر خبر دخول العراق للاراضي الكويتية في الصحف الاجنبية جنبا الى جنب مع خبر مقامرة الشيخ . وكذلك نشر في الصحافة ان طائرة خاصة لا تزال تحمل كل يوم من جزيرة " اوركني " في اسكتلندا الى السعودية 500 كغم _ ليس يورانيوم _ وانما محاربت بحرية مشهورة في تلك الجزيرة (1) وكل هذا يمثل جزءا من كل لحياة الترف والبذخ التي يعيشها ابناء الخليج ولم يكونوا على استعداد لتغيير نمط حياتهم رغم دخول القوات العراقية الاراضي الكويتية .

وكانت دول الخليج تنفق ما يعادل 5 مليارات دولار ثمن شوكلاته و20 مليار دولار ثمن مستحضرات التجميل من كل عام (2). ومليارا واحدا ثمن سجائر (3).

ولدى الدول العربية 5000 مصنع صابون ومنظفات ومع هذا يستوردون بمليار دولار من المنظفات والصابون ومليارات من الدولارات كمواد تقنية (4) وتصل تكلفة الطالب الجامعي الواحد في الكويت وفي السنة الواحدة (45000) دولار في حين تصل في تركيا لعام 1965 الى 20,6 دولار للطالب . وتبلغ التكاليف الجامعية للخريج الواحد في الجامعة الامريكية في بيروت (2500) دولار (5) .

-
- (1) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص 45
 - (2) التلفزيون الاردني " الاردن الاقتصادي" 18 / 2 / 1991
 - (3) القدس 1/ 4 / 1989، ص 62
 - (4) التلفزيون الاردني " الاردن الاقتصادي" 18 / 2 / 1991
 - (5) د. عطوف محمود ياسين، مرجع سبق ذكره، ص 106

وقد ذكرت صحيفة القبس بتاريخ 1981 /3/29 بان دولة نفطية واحدة قد قدمت لصندوق النقد الدولي مبلغا وقدره 9,6 كقرض ، مع العلم بان اسرائيل تقترض من هذا الصندوق (1) وان امريكا تتحكم في قرارات هذا الصندوق فهي وحدها تملك 21,4 من القوة التصويتية للصندوق (2)

وبلغت مجموعة استثمارات دول الاوبك في الدول الصناعية خلال عامي 1974 -1975 نحو 56,4 مليار دولار ، عدا الاستثمارات الموجودة في المؤسسات الدولية في قروض للدول النامية (3)

وفي تقرير عن فوائض الاموال القابلة للاستثمار لدول الاوبك 1974 و 1975 يقول التقرير:ـ

- حصلت امريكا على 12 مليار دولار عام 1974، وعشرة مليارات دولار عام 1975 أي على 22 مليار دولار في السنتين وهذه تمثل 22% من فوائض 1974 ، 25% من فوائض 1975
- ان السوق المصرفي الاوروبي حصل على 22,5 مليار دولار عام 1974، و8 مليار دولار عام 1975.
- ان بقية الدول المتقدمة حصلت على 6 مليار دولار عام 1974 و 7,75 مليار دولار عام 1975.
- ان الدول النامية حصلت على 4 مليارات عام 1974، و6 مليارات عام 1975.
- ان المؤسسات المصرفية الدولية (بما فيها الصندوق الدولي) حصلت على 3,75 مليار دولار عام 1974 و 4,25 مليار دولار عام 1975.

(1) المرجع السابق ص 116

(2) محمد عبد الشفيق، مرجع سبق ذكره، ص 171

(3) احمد صدقي الدجاني ، العرب في مواجهة العالم المتغير ، 1979 ، ص 101

(4) محمد حسنين هيكل، حديث المبادرة، ط4 ، (بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 1983) ص 192

ويخلص التقرير بنتيجة ان مجموع ذلك كله بلغ 56,25 مليار دولار عام 1974، 73,75 مليار . وكان مجموع الفوائض لدول الاوبك 60 مليار دولار عام 1974 ، 41 مليار دولار عام 1975، أي ان الفائض الحر القابل للتصرف في تلك الفترة لم يزد عن 3،75 مليار دولار لعام 1974 و 4,25 مليار دولار لعام 1975.

وكذلك حصلت المملكة العربية السعودية في قضية ايران /كونترا" 70 مليون دولار ارضاء لخاطر امريكا (1)

قام المستثمرون العرب وهم الخليجيون او من سار على فلهمم بشراء عشرات الفنادق والشركات والشوارع باكملها في لندن وفلوريدا وسويسرا وكاليفورنيا... الخ. وعلى سبيل المثل لا الحصر ان مجموعة من المستثمرين العرب قامت بشراء فندق في منتصف جزيرة (مانهاتن) المجاورة لبناء هيئة لامم ، ويبلغ عدد غرفه "837" مزودة بالحمامات الداخلية ، وان نفس المجموعة هي التي قامت بشراء فندق دورشستر في لندن عام 1978 اغسطس(2)

قد حاول الرئيس انور السادات يوما الحديث مع الملك فيصل على اعطاء " لقمة " للسوفييات من هذه الاموال المنهوبة في رفض الفكرة في البداية الا انه تراجع وابلغ السادات باستعداده لاعطاء " الاتحاد السوفياتي سابقا " معونة مقدارها 200 مليون شريطة ان تخصص لبناء 50 مسجدا في مختلف جمهوريات الاتحاد السوفياتي .(3)

(1) محمد حسنين هيكل ، الانفجار ، ط1(القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، 1991) ص 108

(2) د. عطوف محمود ياسين ، مرجع سبق ذكره، ص 116

(3) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج، مرجع سبق ذكره ، ص163

وهذا النمط الاستهلاكي البشع الذي مارسه سكان الخليج واثروا من خلال نقله الى رعايا الدول العربية قد جعل الملك فيصل يقول :_ (1)

" ان اجدادنا كانوا يركبون الجمال، وابطائنا كانوا يركبون السيارات ، ونحن تعلمنا ركوب الطائرات ، ولكنه اذا مضى الحال على ما هو الحال فاني اخشى ان احفادنا سوف يعودون الى ركوب الجمال مرة ثانية!"

ولا ننسى ان مرتب الامير جابر المعلن رسميا هو مليون دينار كويتي شهريا (2) أي اكثر من 3 ملايين دولار ، وان الكويت قد قامت ببناء بناية لاستقبال الملوك والرؤساء لحضور مؤتمر واحد بنصف مليار دولار ، وان مؤتمر الطائفة الاخير الذي استخدم لثلاثة ايام في عام 19 81 وقد كلف مئات الملايين من الدولارات (4) وصورة الفساد هذه لا تقتصر على دول الخليج بان الدول العربية عن بكرة ابيها متورطة با لفسادحتى اذنيها..ولو سحنت الفرصة لاي شعب من الشعوب العربية فانه لنيكون بحال احسن مما هو موجود في الخليج . وكمثال على ذلك وهو ما يصلح للتطبيق على مستوى هذه الامة التي تعيش اردء عصورها فرجل يدعى عويضة عمل مع انور السادات ايام حكم عبد الناصر في المؤتمر الاسلامي قام بسرقة 80 مليار جنيه مع وزارة الاوقاف المصرية . وازاف بانه على استعداد لاعادة المبلغ شريطة ان يرجع الاخرون المبالغ التي اخذوها . ومع هذا فهذا الشخص سيعلم الاولاد الدين ..(4)؟؟

(1) المرجع السابق ، ص 93

(2) المرجع السابق، ص 278

(3) د. عطوف محمود ياسين، مرجع سبق ذكره، ص 119

(4) احمد فؤاد نجم، مرجع سبق ذكره، ص 42

وهذا يقودني الى ما قاله احد الطلبة يوما في جامعة النجاح الوطنية : بان الشخص المسنول في بلادنا يدخل مؤسسة مكونة من ثلاث غرف وبعد 20 سنة تبقى المؤسسة نفسها من ثلاث غرف الا ان بيته يصبح عشرين غرفة بدلا من غرفة واحدة . هذا هو حال الامة العربية ، ومن الانصاف ان يذكر هذا عند الحديث عن الفساد .

التكامل العربي والوحدة : _

لقد عاش جيلي وهو على امل بان يلحق بركاب الوحدة فنشدنا وغنينا وطبلنا وزمرنا للوحدة . ولكن من اين لنا بهذه الوحدة ؟؟

لقد كنا نصطم الما ونبكي دما ونحن نرى طاقات امة مهدودة سواء منها المادية او البشرية وحتى الحلم بالوحدة كان يتطاير بين لحظة واخرى .

وجاءت ثروة الخليج وغنى الخليج وزالت امال الوحدة عندما اصبح كل شيخ يتعامل كقائد قبيلة مركزا على المفاهيم القطرية والمصلحة الفردية . فمن منهم مستعد للتنازل عن عروش الذهب والنفط لكيبيني وحدة ؟ فماتت الامال مع غنى الاثرياء لانهم لانهم ليسوا على استعداد للتطلع الى الفقراء وليسوا على استعداد للتنازل من اجل ان يرفعوا من مستوى المطحونين في العالم العربي فاصبحت الوحدة بمثابة حلم بعد ان كادت تصبح حقيقة .

لقد اعلن المسنولون في اسرائيل مرارا وتكرارا بان استقرار اسرائيل وبقائها قوية متطورة مرهون كل ذلك بانقسام الدول العربية على نفسها وبقائها اكبر مدة ممكنة في دائرة التخلف والانحطاط (1)؟ وهذا هو ما يحصل فعلا .

وعلينا ان نوضح للاجيال العربية الشلية بان الخلل ليس في عجز الانسان العربي او غبائه وليس في عبقرية اسرائيل او شجاعته . ان الخلل مغروس في هذه الانظمة العميلة لقوى الاستعمار ، المدافعة عن مصالحها على حساب الجماهير المطحونة . فلن يكتب لنا النجاح في معركتنا الخارجية مع اسرائيل لاننا مهزومون في الداخل على ايدي هذه الانظمة المتخلفة الجاهلة . وهي لن تسمح لا بالوحدة العربية ولا بالوعي العربي ، ولا بتغيير أي نظام من انظمة المعرفة كالتعليم او الصحة او الادارة او أي شيء . سوف تبقينا على تخلفنا لان من مصلحتها ومصلحة ابنائها ان نظل في جهل مطبق ومع هذا فاين نحن نسير ؟؟

ضرورة الوحدة والتكامل :-

فالقرن الواحد والعشرين يمثل قطاعا قرن التكتلات العالمية (1). واي كيان صغير يقل عن مائة مليون من البشر سوف يضل مشروعا غير قابل للحياة (2)!! بمعنى سوف يظل غارقا في ظل التبعية لمن هو في دائرة اقوى وهذا ما هو حاصل فعلا . واذا كانت فكرة الاسواق الاوروبية المشتركة قد بدأت بمبادرة فردية شخصية غير رسمية حتى جاءت الحكومات الاوروبية وتبنتها وطبقتها فيما بعد (3) .

واذا كانت المانيا الغربية قد دفعت وقدمت 200 مليار دولار لالمانيا الشرقية من اجل الوحدة !! ومن اجل تقريب الهوة بين مستوى المعيشي للافراد في الالمانيتين!! (4)

(1) ابراهيم صنوبر ، رسالة الجامعيين العرب في المجتمع العربي ، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 1986، ص 21
(2) محمد حسنين هيكل ، دروس حطين، القدس ، 1987 /7/3
(3) د. عطوف محمود ياسين ، مرجع سبق ذكره، ص 133
(4) التلفزيون الاردني " الاردن الاقتصادي" 1990/8/12، الساعة 10,30

وإذا كان غاندي (1) قد استطاع توحيد ما يقرب 550 مليون شخص يسكنون 21 ولاية وبها ما يقرب 15 لغة رسمية وأكثر من 70 ديانة فهل من المحال على العرب ان يتوحدوا وهم اشقاء في اللغة والدين والمصير؟؟

وإذا كان واضحا لمن اراد ان يبحث ويدرس وان يتابع بان الامة العربية من خلال " الدولة القطرية " قد عجزت عن اللحاق بالركب الانساني وما زالت تتعثر في الثورة الصناعية الاولى فكيف هو الحال بالثورة الصناعية الثانية (2) .
والثورة الصناعية الثالثة والمتعلق بمجالات الطاقة النووية والفضاء والالكترونيات؟؟ وكيف الحال مقارنة مع الدول التي دخلت مجال ما بعد العالم الصناعي؟؟ فاي وضع واي عصر هذا الي نحياه؟؟

ومن حقنا ان نتساءل عن مصير ابائنا في ظل هذا الوضع المؤلم بل وعن انفسنا ايضا ؟ فهل نظل نعيش في دائرة الذل والهزيمة والضياع؟؟

انني اتحدث بلسان الملايين المغلوب على امرهم ؟ فمن اجل من سيظل صامتين والى متى سيظلوا في دائرة الحياذ ؟ وهل بالامكان الحياذ في معركة الحياة او الموت بالنسبة للانسان نفسه؟! وهل تاييدنا لدولة عربية قوية مهما كانت او قائد محنك مهما كان واي كان يعمل من اجل توحيد هذه الامة ولم شملها ، وتكسير رؤوس من يسمون انفسهم بمشايخ الخليج يعتبر جريمة؟!

وهل النفط هو الذي يحدد دور الانسان ؟ ام ان الانسان هو الذي يحدد دور النفط؟! فاي راحة كريهة واي مستقبل اشد بؤسا من هذا الذي يحمله النفط الينا على ايدي شيوخ العشائر في الخليج؟!

(1) منى حلمي " في الذكرى الاربعين لوفاة غاندي ، " مجلة العربي، العدد 363 فبراير 1989، ص 144 _ 148
(2) محمد حنين هيكل " دروس حطين " القدس ، 1987 /7/3، ص 13

وعلى الرغم من الطفرة النفطية وبالذات ما بين 1973 - 1980 فإذا نظرنا الى التطور الذي حصل في الصادرات والواردات العربية في ضوء نمط التجارة الخارجية العربية . فإنه لمن الملاحظ بأنه قد تم دمج الاقتصاد العربي في السوق الدولية للدول المتقدمة صناعيا . ومن ضعف واضح في التكامل الاقتصادي ما بين البلدان العربية (1).

ويتضح ايضا ان الصادرات العربية تعتمد على المواد الخام والنفط والكيماويات التي بلغت ما بين 95% - 98% والنفط بالذات يشكل 87% من جملة الصادرات (2) .

وبلغ الامر الهزلي بأنه لو ارادت دولة عربية تمويل احدى المشاريع فإنها لا تستطيع الحصول على القروض من بلدان النفط الا عن طريق نيويورك وبواسطة الشركات المتعددة الجنسيات (3) .

والوضع الانتاجي في الدول العربية لا يزال ضعيفا ولا يسد حاجات السوق المحلية الاستهلاكية فعلى سبيل المثال فإن قطاع الصناعية الثقيلة لا يزيد عن 5% من جميع المرافق الحيوية (4) وان النمو الصناعي لا يزيد عن 7% سنويا، واغلبه بالسلع الاستهلاكية (5).

-
- (1) الاهرام الاقتصادي " الواقع الاقتصادي الذي يتعين تغييره" العدد 1042، 1989، ص 60- 61
 - (2) د. نادر فرجاني ، مرجع سبق ذكره، ص 64
 - (3) الاهرام الاقتصادي، المرجع السابق ص 60_61
 - (4) حلیم بركات، مرجع سبق ذكره، ص 133
 - (5) د. سليمان الخالدي ، مرجع سبق ذكره، ص 97

والاقطار العربية بحاجة ماسة الى المندسين والعلماء والخبراء في جميع التخصصات . فالجزائر مثلا بحاجة الى حوالي (100,000) مهندس وخبير اجنبي ، والسعودية ما بين (1975- 1980) فانهما كانت بحاجة الى (50,000) من المهنيين، و(79,000) من الاداريين ، و(116,000) من العمال المهرة ، و(159,000) من العمال انصاف المهرة (1) ومع هذا يهجرون 30- 50% من الادمغة النادرة التخصص للخارج (2).

ولدى العرب نصف مليون (3) من الحاصلين على الدكتوراه او الماجستير في اهم التخصصات ممن هاجروا الى امريكا واوروبا ومع هذا نتباكى ونذرف دموع التماسيح على هؤلاء فاين فرص العمل لمثل هؤلاء؟؟ واين الحرية المعطاة لهم، وتكافؤ الفرص والعدالة؟؟ قبل ان نتحدث عن عودتهم؟؟

ولدى دول النفط ثلثا ارسدة العالم النقدي (4) واستثمارات العرب في الخارج تقدر بتريليون دولار (5) ومع هذا هناك 20 مليون عربي يبحثون عن فرص عمل في اوروبا وامريكا ، واذا ظلت الامور تسير بهذا الشكل في العالم العربي فسوف يكون عدد من يبحث عن فرصة عمل في اوروبا وامريكا بعد 50 سنة ما يقارب ال 200 مليون عربي (6)

ولا بد ان نتحدث عن مشكلة الهجرة واستنزاف الادمغة من ذكر ان من اهم الاسباب (7) التي عملت ذلك ناتج ضعف التصنيع وفشل عملية نقل التكنولوجيا الى الاقتصاد الوطني .

وكذلك فإن شيوع الرشوة والمتاجر بالنفوذ وانعدام الحريات وتناقض السياسات والقرارات وترك الحبل على الغرب " للقطط السمان مستترة بالنظام لحماية افعالها . كل ذلك دفع الى ترك البلاد والبحث عن يء من الكرامة المفقودة في الوطن الام .

ومعيار تقييم الاداء في المجالين الاقتصادي والسياسي وكذلك الاداري هو هوية الفرد وليس كيفية ادائه لعمله (1). وعليه فان اصعب تكامل في الدنيا على حد راي استاذ الاقتصاد العراقي د. باسل بستاني (2) وهو التكامل العربي لان الحاكم الذي يوافق عليه يعني ذلك طبقا لرايه بالغاء وجوده السياسي .

وامام هذه المعطيات فلننتصور كيف ان دولة عربية تعمل على تصدير الاطباء قد اتخذت قرار 1959 ببناء اربع مستشفيات في اربع مدن ، وحتى العام 1975 لم يتم بناء سوى مستشفيين فقط في حين انه لم تستكمل عملية التجهيز حتى الان (3)

هذا هو الحال في العالم العربي ومع هذا فان ما تم على يد الحكومة الكويتية وبعض الاقطار الخليجية من طرد القوى العاملة الفلسطينية والعربية منها بعد حرب الخليج عام 1991 او اثنائها، كان قد تنبأ لوقوعها الدكتور عطوف ياسين في عام 1984 ، فقد ذكر " ان السنوات الخمس القادمة ستشهد مفاجات جديدة غير واضحة " للتخلص من قيود الاعتماد المطلق على الايدي العربية وغير العربية التي اصبحت تهدد عروبة الخليج

(2)د. عطوف محمود ياسين ، مرجع سبق ذكره، ص 123

(3) د. حسن صعب، مرجع سبق ذكره ، ص 272.

(4) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص 624

(5)د.حسن صعب، المرجع السابق، ص 247

(6) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج،مرجع سبق ذكره،ص 624

(7)المرجع السابق، نفس الصفحة.

¹⁴(1) د. عبد القادر ياسين ، " التكامل العربي طريق التنمية" القدس ، 1987/4/14، ص 9

(2) انطوان زحلان واخرون ، مرجع سبق ذكره، ص 120.

لقد انفتحت الدول العربية على طلابها الذين يتعلمون في الخارج مبالغ تعادل (100) مرة اكثر من المبالغ التي كان بالامكان انفاقها على برامج تدريبية فيما لو تمكن العرب من بناء واستحداث جامعة نموذجية للدراسات العليا داخل الوطن العربي (1).

ولا يفوتنا ان نقول ان من اخطر ما حمله الينا اهلنا واخوتنا العاملون في الخليج العربي الونا وانماطا من الاستهلاك وطرق المعيشة ما اثر على القيم الساندة قبل عهد النفط وامواله . وهي من اخطر الامور التي اثرت على التركيبة الاجتماعية والفكرية داخل الاسرة الواحدة (2)

(3) القدس 1993/2/2، ص 16

(4) د. عطوف محمود ياسين ، مرجع سبق ذكره، ص 53

(1) المرجع السابق، ص 152

(2) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ، ص 94.

النتائج والعبر :ـ

قبل ظهور النفط في الخليج كانت الاسر الحاكمة تحكم البلاد بالتشاور مع العائلات الارستقراطية وبالذات التجار، ومع ظهور " عصر النفط" بدا الثقل السياسي لعائلات التجار بالاضمحلال ، ثم شرعت الدولة تتشكل بالتدريج وزاد ذلك دعما لنظام الحكم " المطلق" بالتدريج .

ولان الحكومة هي المستلم الوحيد لاموال النفط فقد بات الناس ينتظرون الحصول على دخولهم من الدولة التي اخذت تعمل على توزيع بعضها بشكل عطايا وهبات مكشوفة او مستورة وما يسمى " بنظام الرعاية"، قد كان ذلك بعيدا عن الوضع الامثل للحوافز الاقتصادية وتنمية روح العمل والتنمية الاقتصادية.

فالمغتربون الذين كانوا يشكلون اكثر من نصف عدد السكان في الكويت 70% من عدد سكان الامارات العربية المتحدة ، كانوا يمثلون حوالي ثلاثة ارباع القوى العاملة في منطقة الخليج العربي . ففي السبعينات كان من بين كل ثلاث وظائف وظيفة واحدة يشغلها ابناء الخليج، واصبح الرقم من بين كل 4 وظائف وظيفة واحدة لابناء الخليج (1).

والمغتربون هؤلاء مثلما حملوا الاموال والهدايا من دول الخليج فقد حملوا ايضا قيما والونا من الاستهلاك لم تكن موجودة في بلدانهم واسرهم قبل عصر البترول وامواله (2)

واعتقد ان هذه القيم والالوان الاستهلاكية هي من اخطر ما حمله الينا البترول العربي حتى انه بات هناك الكثير من الفجوات على نطاق الاسرة الواحدة

وكل ذلك ساعد على خلق مجتمع اتكالي ضعيف غير متماسك ، وكثر فيه الفساد، وعمت فيه الرذيلة، وكثر الكذب و الغش والنفاق والنجاح السهل اليسير بدون تعب وبدون معاناة واكثر من غير بصدق عن المجتمع العربي ما قاله الدكتور حليم بركات (1): ان المجتمع تالف معقد يشمل بين مقومات الاساسية الوطن – البيئة والسكان والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات والبنى فاصلة متفاعلة فيما بينها والمجتمعات الاخرى عبر التاريخ. وقد تكون في الوطن العربي (هذه الرقعة الشاسعة التي تضم حاليا 22 بلدا وتبلغ مساحتها خمسة ملايين وربع المليون ميل مربع ويزيد سكانها على مائة وستين مليون نسمة في مطلع الثمانينات من القرن العشرين)مجتمع شديد التنوع . انتقالي يتجاذبه الماضي والمستقبل والشرق والغرب في ان واحد، متكفيء على جذوره انكفاء اصيلا ، سلفي تقليدي غير اصيل في منطلقاته ومستقبل متجدد علماني مستحث في طلعاته (والعكس يبدو صحيحا ايضا) مركزي متصل بالعالم اتصالا وثيقا وهامشي بين مجتمعات العالم الحديث، منفتح متغير بسرعة ومغلق ثابت بشكل مذهل ، غني في ثرواته ومواقفه وفقير متخلف مههد صامد رافض ومسالمة مستسلم متفائل واثق بنفسه ومتشائم متدن في معنوياته متقدم ومتراجع ماساوي وهزلي في امنياته واستجاباته الخ. ان المجتمع العربي باختصار. هو تالف كل هذه التناقضات وغيرها منعالم متناقض .

وباعتقدي ان الصورة هذه للامة العربية كانت موجودة منذ ايام الاستعمار ، الا ان البترول قد عمل على ترسيخها وتعميقها وزاد الجرح العربي الما ومرارة بدلا من ان يعمل على اعادة بناء هذه الامة من جديد

واذا كانت الجدية لا توجد بشكل عفوي ، بل لابد من اصطناع ايجادها . فان الانحطاط يجعل المرء يستهوي الاسهل ، فلا يعني نفسه بالاشق الاصعب . وهذا ما حصل في في الخليج العربي فعلا . وهذا ما كرس واقعا اتكاليا عاجزا متهريا عن المواجهة . وهذا ما جعل حكام الخليج يركضون للاستغاثة باسيدهم قوى الامبريالية لتعمل على حمايتهم كما حصل في مواجهة العراق .

فاذا كان بالامس وجود قوات امريكية في عرض البحر المتوسط بشكل خطرا على السيادة الوطنية والقومية للامة العربية فما بال العرب الان والقوات الامريكية تحرث الصحراء العربية من اقصاها الى اقصاها؟؟

١

(2) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص 94

(1) د. حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 13

واسوا ما جاء في (عصر البترول) هو ظهور قيم جديدة تمجد النجاح السهل ، ومثل هذا الجو لن يعمل على احتضان القدرات الابداعية ونموها . فمن المؤكد ان جزءا من هذا الفشل الذي لحق بالامة العربية لا يعود الى ضعف في الامدادات والتجهيزات بقدر كما يعود الى سيادة المناخ الاجتماعي الذي يشجع على قيم غير فكرية كالهيبية والمركز والسلطان والكسب المادي السريع (1)

واكثر من هذا فقد قامت بعض الاميرات التابعات للفرع الحاكم في السعودية بالتنازل عن بعض الاذونات بحصص من البترول لحساب مصدريين عرب او اجانب في مقابل نصيب معلوم . كما حصل مع الاميرة " موز عبد العزيز ال سعود " حينما فوضت وكيلا لبنانيا ببيع حصتين من البترول تقررتا للاميرة شخصا بحجم مليون برميل من (API -36) لبيعها في السوق الحرة حسب الاصول .

هذا هو الوضع في الدول الغنية المتخلفة في منطقة الخليج العربي فاموال النفط يتم تحويل معظمها الى استثمارها في دول الغرب من ناحية، وظلوا في دائرة التبعية بل وزادتهم الاموال والثراء لان يظلوا في دائرة التبعية حينما قاموا بربط اقتصاد بلادهم باقتصاد الدول الاجنبية/ والقسم الاخر من الاموال استهلك على شراء الكماليات وابقاء الحكام على كراسي الحكم (3).

واكثر من هذا سوءا انه في الدل النفطية تسيطر تكتلات غريبة ومتناقضة :_(4)

" تعبت بنظام التعليم في المدارس والجامعات وتهبط بالمسؤولين وتحرك الصفقات ، وتجلس وراء كل قرار . وفي مثل هذا الجو المتعفن لا يعيش العالم المتخصص ولا تزدهر المعرفة ولا تنمو الخبرات".

وقد نقل على لسان احد الاساتذة من خريجي جامعة اكسفورد وممن عمل حوالي 20 سنة في البحث العلمي قوله:
(5)

"هناك تكتلات غريبة " تشبه عصابات المافيا" داخل جامعات الخليج العربي قائمة على احتار المصالح النفعية ومحاربة الخصوم . وتشكل بؤرة للحساسيات

(1) د. عبد الستار ابراهيم، افاق جديدة في دراسة الابداع (الكويت : وكالة المطبوعات، 1987، ص 200

(2) محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ، مرجع سبق ذكره، ص 100

(3) د. سليمان الخالدي ، مرجع سبق ذكره ص 136

(4) د . عطوف محمود ياسين ، مرجع سبق ذكره، ص 70

